الديمقراطيا القادمة

السياسة باعتبارها ممارسة علائقية

Democracy To Come
Politics As Relational Praxis

د. وديع بكيطة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
سايس-فاس
المغرب

bekkita.oudie@gmail.com

د. سعيد هادف

باحث في العلوم السياسية
والتاريخ الحديث، وهران
الجزائر

saidhadef@gmail.com

الديمقراطيا القادمة

السياسة باعتبارها ممارسة علائقية[1]

د. وديع بكيطة، د. سعيد هادف

ملخص:

يرتكز العَمَلَ البنَاء لفْريد دالماير "الديمقراطيا القادمة" على إثبات نظرية الديمقراطيا وتطويرها وإعادة النظر فيها وسط حوار مستمرّ مع مجموعة متنوّعة من المحاورين.

ويخاطب دالماير مفكّرا أو تقليدا مختلفاً، في كل فصل من فصول الكتاب السبعة. يبدأ دالماير في الفصل الأول بنظرية سياسية تحليلية وقارّية ويُعبّر عن تقارب مع النماذج التداولية للديمقراطيا. ثم يقترح رنينا خصبا بين الديمقراطيا التداولية ومفهوم جاك دريدا عن "الديمقراطيا القادمة" في رفضها المشترك للهيمنة ومقاومة النهاية. وبتجاوز التفسير التقليدي للديمقراطيا التداولية، يدعو دالماير إلى "إنسانية سلبية (Apophatic)" أكثر انتباها للبعد التأويليّ للتداول وتسعى إلى البقاء منفتحة على إمكانيات جديدة جذرياً (ص40).

الكلمات المفاتيح: الديمقراطيا، الإسلام، الكونفوشيوسية، محمد عابد الجابري، الغرب.

Abstract:

Fred Dallmayr's Democracy to Come is a constructive work in which a theory of democracy is substantiated by, developed through, and reconsidered amid ongoing dialogue with a diverse cast of interlocutors.

In each of the book's succeeding seven chapters, Dallmayr engages a different thinker or tradition. He begins in the first chapter with analytic and continental political theory and articulates an affinity for deliberative models of democracy. He then suggests fertile resonance between deliberative democracy and Jacques Derrida's notion of 'democracy to come' in their common rejection of domination and resistance to finality. Pushing beyond the traditional construal of deliberative democracy, Dallmayr advocates an 'apophatic humanism' that is more attentive to the hermeneutical dimension of deliberation and that strives to remain open to radically new possibilities (p. 40).

Keywords: Democracy, Islam, Confucianism, Al-jabri, West.

1- Buck, N. Democracy to come: Politics as relational praxis. Contemp Polit Theory 18 (Suppl 4), 251–254 (2019). https://doi.org/10.1057/s41296-018-0234-3

يرتكز العَمَلَ البنَاء لفْريد دالماير "الديمقراطيا القادمة" على إثبات نظرية الديمقراطيا وتطويرها وإعادة النظر فيها وسط حوار مستمر مع مجموعة متنوعة من المحاورين. إن معرفة دالماير بمثل هذه المجموعة من النصوص والتقاليد مثيرة للإعجاب، وهو يقترب من كل منها بحكمة وسخاء. وتظهر أربعة عناصر أساسية لنظريته مع تطور الكتاب: يتناول هذا العمل موضوعات عديدة، منها: القدرة (Power) الكامنة المحتملة للشعب باعتبارها محرّكا للديمقراطيا؛ والقدرة المتحقّقة أو المؤسسيّة اللازمة للممارسة السياسة؛ والعلاقات الأخلاقية القائمة على المساواة وسيلةً وهدفا للديمقراطيا؛ ومقاومة الثنائيات الجامدة، وخاصة بين الأخلاق (الخصوصيّة) والسياسة (العموميّة) وبين التقاليد أو أنماط التفكير الدينية والعلمانية. إلى جانب تقديم قضية مقنعة لصالح نظرية معينة للديمقراطيا، يساهم هذا الكتاب بشكل مفيد في توسيع نطاق الخيال الديمقراطي خارج الحدود الجغرافية والنظرية لشمال الأطلسي. إن كتاب "الديمقراطيا القادمة" سيكون إضافة رائعة لأيّ دورة أو دراسة حول هذا الموضوع، وهو يقدّم نموذجاً للعمل العالمي البنّاء حقّا في هذا المجال.

يضع دالماير قواعد مشروعه في مقدمة الكتاب. وهنا، يستعين بقول مونتسكيو بأن تَميُّزَ الديمقراطيا يكمن في روحها أو في المبدأ الذي يبث فيها الحياة، وهو حب المساواة، الذي يصفه دالماير بأنه حب "علاقة أخلاقية نوعية تتجلى في الاحترام المتبادل والتعاطف والتضامن على جميع مستويات الحياة العمومية" (ص9). وفقا لدالماير، فإن فكر مونتسكيو رسم تحولات فكرية مهمة كانت مواتية للتفكير من حيث العلائقية والإمكانات، والتي أدّت إلى فكرة سياسيّة رئيسيّة صاغها لاحقا كلود ليفورت: تتّصف الديمقراطيا الحديثة بـ"إفلاس وجودي" في مركزها (ص6-7). بدلا من تَجسُّدِها في فردٍ أو أغلبية، يشير دالماير إلى حجة ليفورت القائلة بأنّ القدرة الديمقراطية المشروعة تكمن في "الإمكانات الكامنة" لشعب يتميز بعلاقات المساواة (ص7).

يخاطب دالماير مفكرا أو تقليدا مختلفاً، في كلّ فصل من فصول الكتاب السبعة. يبدأ دالماير في الفصل الأول بنظرية سياسية تحليلية وقارّية ويُعبّر عن تقارب مع النماذج التداولية للديمقراطيا. ثم يقترح رنينا خصبا بين الديمقراطيا التداولية ومفهوم جاك دريدا عن "الديمقراطيا القادمة" في رفضها المشترك للهيمنة ومقاومة النهاية. وبتجاوز التفسير التقليدي للديمقراطيا التداولية، يدعو دالماير إلى "إنسانية سلبية (Apophatic)" أكثر انتباها للبعد التأويلي للتداول وتسعى إلى البقاء منفتحة على إمكانيات جديدة جذرياً (ص40).

يواصل دالماير، في الفصلين الثاني والثالث، تعزيز مقاربته من خلال الانخراط في فكر تزفيتان تودوروف وإنريكي دوسل حول التوترات الداخلية للديمقراطيا. يتتبع دالماير في عمل تودوروف الرؤية القائلة بأن الديمقراطيا يمكن أن "تمرض بسبب تجاوزاتها" عندما لا تكون مجموعة الخصائص الأساسية الثلاث – الشعب والحرية الفردية والرؤية – متماسكة معاً (ص58). ووفقاً لتودوروف، فإنّ مثل هذا الخلل في التوازن ينزع عن الإنسان صفته الإنسانية، ويتطلب التوازن السليم وينبع من فهم متجدد للعلاقة بين الفرد والمجتمع على أساس المساواة بين الجميع.

يطور دالماير مع دوسل هذا الخط العريض من التفكير من زاوية مختلفة. فوفقا لدوسل، فإن العالم المُستعمَر سجين علاقة جدلية للهيمنة تنبع من ذات الأساس (الديكارتي) للحداثة. تهدف فلسفة التحرر، لدى دوسل، إلى تقويض هذا الوضع حيث تقترح مفهمة جديدة لـ "السياسي" كمجال للتفاعل بين المتساوين، وهو مفهوم مختلف عن الممارسة الفعلية للسياسة. في تصور دوسل للسياسة، يؤكد دالماير على مفهومي الإمكان الكامن Potentia والإمكان الفاعل Potestas، حيث يشير الأول إلى القدرة الكامنة التي لم تتحقّق بعد لدى الشعب، بينما يشير الثاني إلى القدرة المتحقّقة. ولأن الإمكان الكامن سابق وأساسيّ، فإن السياسة تكون دائما غير مكتملة بالضرورة – فالقدرة الواقعية المؤسسية لا يمكنها أبدا أن تستنفذ إرادة الشعب أو تزعم أنها حقّقتها بالكامل. وعلى هذا فإن الديمقراطيا، وفقا لدوسل، تستلزم تنشيط قدرة الشعب الكامنة لأغراض تحريرية وإبقاء القدرة المؤسسيّة تحت التحكم.

ويتناول الفصل الرابع والخامس والسادس التقاليد الدينيّة والثقافيّة في تطوير الديمقراطيا. ويبدأ دالماير أوّلاً بدراسة عمل محمد عابد الجابري، الذي يرى أن عمله في الإسلام والديمقراطيا كان بمثابة مقدمة مهمة لـ "الربيع العربي". وفي صميم نظريته، يقول الجابري أن الديمقراطيا ترتكز على قناعة بالمساواة بين المواطنين، وهو ما يعني غالبا أن التحول الديمقراطيّ لابد أن يكون تدريجياً، وأن يكون اجتماعيّا واقتصاديّا على الأقل بنفس القدر الذي يكون فيه سياسيا بحتا. ويرى دلماير أن الجابري يشكل مقدمة مفيدة للتفكير في العناصر المميزة لبعض المجتمعات الإسلامية، وخاصّة التقسيم الطبقيّ الاجتماعيّ، وهو ما يتعين على النظرية الديمقراطية المحلية أن تأخذه في الاعتبار. ومع ذلك، ينتقد دالماير الجابري لأنه يكتفي بسهولة بـ"التناقضات الجامدة" (وخاصة) بين الدين والسياسة، وهو ما يؤكد دالماير أنه من شأنه أن يهدد في نهاية المطاف استقرار المشروع الديمقراطي (ص100).

ينتقل دالماير، بعد ذلك، إلى بعض المناقشات الدستورية الأخيرة حول الكونفوشيوسيّة والديمقراطيا. وفي أعقاب المخاوف بشأن التناقض بينهما، يرسم دالماير ثلاثة أنماط عريضة للكونفوشيوسية، "النمط الأدنى، والنمط الأقصى، و ... النمط المعتدل أو الهجين"، في إشارة إلى تأثيرها على الحياة العمومية (ص104). ويقول دالماير أن الديمقراطيا لا تتعارض مع الكونفوشيوسيّة إلا في نمطها الأقصى، حيث تصبح "أيديولوجيا شاملة ... تحكم السياسة والمجتمع" (ص105). وفي المقابل، يبدو التعاون الكامن ممكناً تماما مع النمطين الآخرين، والنمط المعتدل أو الهجين يناسب مشروعه الجدلي على أفضل وجه ويثبت أنه الأكثر وعداً لأنه لا يهدد ملاءمة الكونفوشيوسيّة للحياة العموميّة.

وأخيرا، يتناول دالماير بإيجاز العناصر الديمقراطية في فكر المهاتما غاندي التي انبثقت أثناء النضال من أجل استقلال الهند، وهو الموضوع الذي كتب عنه بشكل كبير في أعمال أخرى. وهنا يركز دالماير على ثلاثة مفاهيم أساسية لدى غاندي: سواراج (swaraj)، أهيمسا (ahimsa) وساتياغراها (Satyagraha). تخبرنا كلمة سواراج عن الحكم الديمقراطي الذاتي، وتخبرنا كلمة أهيمسا (اللاعنف) بالكيفية السلمية في ممارسة هذا الحكم؛ أما كلمة ساتياغراها التي تحمل معنى الحرص على الحق، تخبرنا عن هدف السياسة". (ص121-122). ويقوم دالماير بتعريف كل منها على التوالي. فالسواراج، يمتدّ إلى ما هو أبعد من مقاومة

الهيمنة إلى الحكم الذاتي الجماعي الحقيقيّ. وتحيل أهيمسا إلى مفهوم المساواة العلائقيّة وتؤسّس للالتزام من أجل اللاعنف. وتعني الساتياغراها "البحث الدؤوب عن الحقيقة والعدالة" (126). ويؤكد دالماير على العلاقة بين أهيمسا والساتياغراها في فكر غاندي باعتبارها علاقة بين الوسيلة والغاية، ويرى أن هذه المفاهيم الثلاثة تُحرّك نظرية الديمقراطيا الغاندية.

يستكمل دالماير، في الفصل السابع، مشروعه ويطور انتقاده للثنائيات القوية (Dichotomies) من خلال اللجوء إلى التيولوجيا السياسية. يتفق دالماير، في إطار تعزيز مقولة كارل شميت الشهيرة، على أن هناك "دائما ترابطا بين أبعاد الحياة بشقيها: الدنيوي والعابر لما هو دنيوي (Worldly And Transworldly)" (ص131). ولهذا السبب، يعرب دالماير عن قلقه إزاء الثنائية الصارمة بين ميتافيزيقا السكون والسياسات الديمقراطية القادمة. يقول دالماير، بعد أن عثر على مصادر في تيولوجيا الترابط لدى بول تيليش وفي فكر رايمون بانيكار اللا- ثنائي، دافع دالماير عن الفكرة التي تعتبر الديمقراطيا شبيها لمذهب الخلق المستمر (Creatio Continua). ويختم دالماير المجلد بخاتمة موجزة تعيد صياغة مجموعة العناصر الثلاثة المكونة للديمقراطيا التي طوّرها من بداية الكتاب إلى نهايته والتي تتمتع الآن بمكانة عالمية أو عابرة للثقافات: "الشعب كقدرة مُؤسِّسة (قدرة كامنة/ Potentia) والمسيّرون السياسيون والفاعلون المتنافسون على القدرة (potestas)، والهدف أو الوجهة الأساسية للجماعة السياسية (Telos)" (ص150).

نجح كتاب دالماير بشكل رائع في تشجيع "التحول البراديغمي من حداثة المركزية-الأوروبية إلى الحداثة العالمية" في النظرية الديمقراطية (ص19). ومع ذلك، تظل هناك عدة أسئلة. أولا، في الفصل الرابع والخامس والسادس، وإذ يناقش أن السياقات الثقافية والدينية المختلفة تشكل حواجز متمايزة وتوفر موارد معينة للتفكير الديمقراطي، وحتى في دفاعه عن بعض الخصائص العالميّة للديمقراطيا فيها، أتساءل إذا كان دالماير طرح كلّ الأسباب العالمية البحتة للديمقراطيا. وفي صلة بالموضوع، يبدو أن إحالة دالماير إلى النزعة الإنسانية المتجددة تفترض أنّ الديمقراطيا يمكنها أن تعاش بوصفها قيمة جوهريّة وليس قيمة أداتية فحسب، غير أن هذا الافتراض يبقى يفتقد إلى الحجة. وكما عَبّرت عن ذلك، فإن هاتين النقطتين تثيران مسألة تصور الطبيعة البشرية، الذي لست مقتنعا بإمكانية تجنبه. فضلا عن ذلك، وإذْ أُحيّي إصرار دالماير على علاقة الأخلاق والسياسة، فيبدو أن الأمر يحتاج إلى المزيد من القول لصياغة الخطوط المميزة لكل مجال من المجالات من أجل رفع اللّبس عن الاختلاط بينهما. وأخيرا، وبقدر ما تشكل الديمقراطيا، على الأقل، جزئيا، مشروعاً أخلاقيا يعتمد على فضيلة مواطنيه (كما قال مونتسكيو نفسه)، كنت أتمنى أن يهتم دالماير بمسألة التكوين المدني.

يناقش دالماير، في هذا الكتاب، أن الديمقراطيا ليست تماما مسألة مَنْ هُمْ الأشخاص الذين يتولون الحكم وكم عددهم فحسب، بل إن كانت تستلزم، في المقابل، تغييرا في البراديغما بأبعاد ثقافيّة وفكرية وأخلاقيّة وسياسيّة. ويكشف دالماير، أيضا، أن الأمر يتعلق بمشروع عالمي حقيقيّ، على مستوى الشكل كما على مستوى العمق. وبغضّ النظر عن مخاوفي، ورغم كلّ فضائله، لا يسع المرء إلا أن يأمل في أن يكون هذا النص بمثابة إشارة إلى النظرية الديمقراطية القادمة.

لمزيد من التدقيق حول المفاهيم الهنديّة الخاصة بغاندي، انظر ترجمتنا لمقال "**غاندي اليوم، الحكم الذاتي، السِلم، الكفاح من أجل العدالة**"، من كتاب وينفريد راينهارد دالماير. الديمقراطيا القادمة: السياسة باعتبارها ممارسة علائقية، **الفصل السادس.** وكذلك مقال " **ما هو الحكم الذاتي؟ دروس من غاندي**"، من كتاب وينفريد راينهارد دالماير. الحوار بين الحضارات: بعض الأصوات النموذجية، **الفصل السابع.**

يبحث الفيلسوف دالماير في مقاربته للديمقراطيا، بشكل واضح، عن مقاصد مشتركة بينها وبين الثقافات الكبرى، لذلك نجده يركز على معجم تلك الثقافات ومن ضمنها المسيحية. وإذ يستدعي نظرية الخلق المستمر أو مذهبه (creatio continua) وهو مصطلح تيولوجي يشير إلى فعل الإبداع المستمر لله عبر تاريخ الكون، فلكي يسنده إلى العملية الديمقراطية كسيرورة متجددة ومنفتحة على الخلق والإبداع.

.**تلوس telos**: في حياة اللذة، يفقد الناس بعض الغايات الأخلاقية، وهي الغاية التي توفر المبرر الأخلاقي للمجتمع.

وينفريد راينهارد دالماير (18 أكتوبر 1928 - 5 يونيو 2024) هو فيلسوف ومنظر سياسي أمريكي. وهو مؤلف لنحو 40 كتابًا ومحررًا لـ 20 كتابًا آخر. شغل منصب رئيس جمعية الفلسفة الآسيوية والمقارنة (SACP)؛ وعضوًا استشاريًا في اللجنة العلمية لـ RESET - حوار الحضارات (روما)؛ والرئيس التنفيذي المشارك للمنتدى العالمي - حوار الحضارات (فيينا)، وعضوًا في مجلس الإشراف على معهد أبحاث حوار الحضارات (برلين).